من يوم ليوم

من باريس مع التحيات

احبائي في « الرياض »:

كأنكم لم تدركوا ان في البعد عن الاهل والاحبة ورفاق الوجدان والدم انغلاقا عن كل شي ... وانكسارا على كل شيء لقد ادركت ـ انا ـ انني لا اساوي شيئا ما ظل « عقالي » ثاويا في اسفل حقائبي .. وانني لا اقوى على الحراك ما دمت امد جسدي الاسمر على فسحة نابية عني .. فيها بالنسبة لي الجاذبية وانعدام الوزن معا .. وانني لن اقوى على مناهضة مرجلية ايتيعاب القوم .. مادام ان قلبي لايزال ماطخا بهدير حب الاهل والاحبة ورفاق الوجدان والدم .

كانكم لم تدركوا ان المرء على البعد تكنه اتساعات والواني ويفتقه انقوى والتفكار . . .

كانكم لم تدركوا ذلك اذ لا تفتأون تشرئبون الى الترحال الطويل بنفس . تغريكم متعة السفر حتى تهنون بلظى النوى انا هنا لست ضائعا وانما « مضيع ! » .. فقدت المرساة والملاذ .. واضعت « حظام » الجمل والمزودة وانعصا . وان رددت اصداء آلامايا انسمر ما تجاوبت معي الاصداء .

انا هنا مضيع .. وليس عندي انقدرة على منع عواطفي مع انني اثق بوجود من يشتريها فالبيع والشراء امر وارد عند الوافدين الى باريس . وعند اهلها ايضا .. ولكنني لا اسيغه ولا اقوى عليه لان اكتافي تنوء بارث لمة شربت من عروقها مقومات بقائي .. ولان قلبي ينهد تحت وطاة الاخلاص

وسحنتي .. ولان ضميري
تحصنه وتحفظه أخلاق دين
راسخ نسجت ثنايبي من
سداه ولحمته .. ولهذا كنت
على احترام متبادل مع كل
الوجوه التي تصافحني هنا على
اختلاف طبيعاتها .. لان اي
انسان يأتي الى هنا ويزداد
تعلقه باشيائه وقضاياه لايزداد
لديهم الا احتراما ووقارا ..
وتظل تلك الاشياء مقصورة عليه
وحده يمارسها متى شاء .. ..
ويعتقدها كيفما شاء .. مع
العلم بان الانسان هنا يحترم
الاخر او يحتقره ذلك ليس مهما
وليس ضروريا لاي منهما . .
ولا احد يشغل نفسه به .

حتى وان وجدت الرابطة فلن
تكون النظرة الشخصية اوحتى
القومية او التاريخية او المذهبية
سببا لها . يستطيع اي انسان
ان ينال اشياءه ويختار السبيل
وزاد في اتقان ذلك واحكامه
احترام ((النظام)) الذي سكب
على افئدتهم من مياه السنين
ما جعلها مرهفة وحساسة
ومشتغلة وغير مشتغلة . ..
النظام في المعاملة .. والنظام
في السير . والنظام في الاكل
وتحديد وظائف اليوم ولهوه
ايضا .. النظام في كل شيء .
وعلى ذلك فهم — في قناعة
وهدوء — يسكبون عرقهم
بسخاء في حين ميلاد العمل
والجد .. ويسفحون عواطفهم
بسخاء في حين ميلاد الاسترخاء
بعد مكابدة التصمود على ذؤابة
— الشغل — .. ولهذا تكون
الفكرة خاطئة عنهم حين تاتي
على ان سفح العواطف عندهم
هو كل شيء .. ولكن هذا
ايضا لايعني اننا ننكر انهم
يمارسون كل لهوهم بينهم .. مما
افقد عيونهم شعاعها ورؤاها،
وجاذبيتها .. حتى ان النظرة
هنا اصبحت لاتعني شيئا
مع انها في قواميس البشر
تعبير اقوى من كل افصاح .
((الحلقة)) وحدها عرفت
اخيرا ان لها معنى لا يدركه

الوافد الجديد .. وانها تحمل تعبيرا .. وتكنهم يستهجنون فاعلها فلا يزيدون عن ادارة ظهورهم له فينكسر ويتابع خطواته ولا يزيد ان كان «حرا» .. وكثيرا ما يحلق الوافد الجديد وتكنه يتنفس الدرس ساخنا في هدوء وبلا ضوضاء فيكتفي بعدها بالنظرة الخفيفة الظل . وهي لاتعني شيئا ابدا ..

انهم لايزالون برغم مانسمع يحافظون على شيء واحد لا ادري ما هو .. حاولت جهدي ان اعرفه فلم استطع .. المهم انهم لايزالون يحافظون عليه باصرار عجيب .. وهذا شيء يميزهم .. وشيء اخر اعتقد ان كل الشعوب تشترك معهم فيه وهو ان من لا يعرف لغتهم يظل ينوء واضحا بنظرون اليه بعنف وبتميز يشعر به باعمق جذور الغربة .. وليس معنى ذلك يحتقرونه .. فتلك يمقتونه او يحتقرونه .. فتلك فكرة خاطئة قد ياخذها بعض الوافدين .. ولكن ما يمكن ان يقال هو انهم قد ينقبضون عنه كاحساس بـ « الغيرية » وبالاختلاف حتى في المزاج والتفكير .. وهو لا ينفي شيئا مما يكره كما انه لاينقى كل ما يحب .. والانسان الوافد

اي قربي منه .. اوتفهم له مهما كان مستواه يضبط دقات قلبه ويشعره بتفاؤل طيب بنشوء اهتية جديدة .. قد يتخذها بعضا من عوض هامد من اهتية حقيقية .. وهو ربما ظل يستشعر ـ بظروفه ومحيطه كما هو حاصل لبعض الان ـ بعض الحواجز والفوارق حتى بعد معرفة اللغة وقدرته على التخاطب .. وان حاول هو

هدمها فستواجهه من اتجاه اخر .. وهو اتجاه شعوري بحت قد يخالج كل الشعوب من حيث الاحساس الذي لايؤثر على نوعية المعاملة وحجمها .. وانما

هنا اعني الميل من جنس الى جنس على المستوى الشعبي طبعا .. فمثلا قد يرتاح الفرنسيون للالمان اكثر من الامريكيين وللامريكيين اكثر من الانجليز وهكذا .. ومن هذا المنطلق تستطيع ان ندرك كيف ترسب في اذهان اكثر العرب الموجودين هنا ان الفرنسيين لا يرتاحون للجنس العربي .. وكيف ذهبوا في تفسير ذلك الى انه يعود الى النقمة على الجزائريين في كفاحهم ضد فرنسا .. فاولا الواقع على غير ذلك .. فالعرب هنا يستوون مع بقية الاجناس الاخرى غير المميزة بميل خاص هذا ما نستطيع حتى الان وثانيا لا يمكن ان نسيء الظن في شعب واع الى درجة الاعتقاد بانه يحقد على شعب آخر ناهض من اجل استقلاله .. ومن ثم تمتد اسباب هذا الحقد الى الجنس العربي بأكمله .

والجزائريون انفسهم يملأون الاتوبيس تجارا وعمالا وسياحا يلقون المعاملة الحسنة من الفرنسيين بدليل افساح المجال لهم فما بالكم ببقية الجنس العربي .

ولكن الحقيقة كما يبدو هي ان العرب في اوروبا استشعروا شيئا شبيها بعقدة النقص الذي تدى بها التعالم النفساني «يونج» ولكن بدلا من ان يأتي اثرها الايجابي فيحاولون الصعود الى الكمال الى ذلك الاثر سلبيا فتجردوا او حاولوا التجرد من جنسهم .. هروبا من استشعار اية حواجز او فوارق .. ربما تولد كل ذلك لديهم كاستعلاء عنيف للمصائب التي توالت على رؤوسنا .. ولما نعانيه من التأخر الحضاري والثقافي والتكنولوجي عن بقية الشعوب الاخرى .. ولكن الاقرار بكل ذلك لا يعفي من المسؤولية ولا يخفي السبيل في الهروب من كل تبعات نومنا وانشغالنا عن قضايانا الرئيسية بقضايا جانبية .. وبالتالي انكسارنا .

لقد عرفت هنا ان بعض

الفرنسية كأنها تهرب من اعترافهم بعروبتهم .. ولهم أصدقاء فرنسيون وغيرفرنسيين لا يعلمون أنهم عربا حتى الآن ولا يداخلني شك في أن لأكثرهم في ذلك اتجاهين :

اتجاه «التشاشيبي» وعرتادوه غير مأسوف عليهم .. وذهابهم ليس أكثر من عملية تهذيب للجنس العربي من الزعانف والطفيليات الرخيصة التي قد يؤدي بقاؤها الى امتداد جرثومها الى أجسام سليمة .. أما الاتجاه الآخر فهو يتخذني أحيانا أو أنى أن تنقضي حاجته من هنا ليحظى — في اعتقاده — بالقرب منهم .. وهذا في الحقيقة واقع لم يستمر عليه كما يمر « الاحرار »

★ احبائي :

اناهنا سراب بلاجيكور
.. أحن وامتلىء دموعا

ولكن عنف كبريائي الصحراوي يبسها في محاجري .. أتحفز احيانا لاكون سرابيا يغني جيكوره فتنكسر نظراتي على جدار عجزي ووهني ثم تسيل على أرض الغرفة زئبقا يشعى ويكوي .. وهنا كثيرا ما اهرب مع علمي بأن في ذلك كل الخسران والهزيمة .. أهرب الى معركة خاسرة .. ولكني اعزل بدون سلاح فانهزم مرة أخرى . وتتوالى الهزائم هكذا .. ففي يومي الواحد اكثر من هزيمة واكثر من انكسار .

مكثت أكثر من يوم اداعب اجفان النوم هنا بكل سيوفي ورماياتي العربية فكانوا سعداء لانهم يريدون أن « يعرفوا » .. ولانهم يحبون ارتياد المتاحف . وكانوا غير مبالين بانفعالي واهتمامي لانهم لايعرفون سوى « اسمي .. » فقط . أو انكي

من كل ذلك انهم يعرفون انني
الوحيد المجهض لـ «لحزيران»
الذي لا يعرفونه عنه. أو يودون
أن لايعرفوا سوى وجهه الذي
قدمته اسرائيل .. والوحيد منا
هنا — بالاكراه عليه ان يحمل
كل اوزار قومه اذا ما امعن في
رفع سيوفهم ورآياتهم .. أما
أن تخلي حتى عن جواز سفره
فلا أحد ينوشه باثم او بغير

ثم .. وبعد — اني اجتنم نفسي
عناء حمل كل الرمال العربية
لانني صحراوي في عرقي رمال.
وعلى جبهتي رمال.. وملء قلبي
رمال .. ولم استطع ان اكون
غير ذلك . وهذه جناية جدها
واقبالها من اهدابها .

— ٢ —

اهل « الحب والسلام » هنا
اعني الاوربيين — اكلهم الدود
وبعوض الشوارع . واصبحت
أمعدتهم لاتقبل فضلات البيوت
والمطاعم ففصت الشوارع
بروائح امراضهم
وقذارتهم .. ان الحب
والسلام الذي سمل عيونهم من
اكبر مقوماته « التسول »
الرخيص والتهافت الكلابي على
ابدي الناس في كل مكان .

اكلهم بالسؤال. وسجائرهم
بالسؤال .. ومخدراتهم ايضا
بالسؤال.. وانهم على نواصي
الشوارع .. والاسداد هي
احذيتهم .. والمترفع منهم قد
يقف على ناصية شارع ويغني
للمارة .. او يذهب الى أي
مقهى ويلقي على زواره قصيدة
شعر فيها انتظارة في كلا
الحالتين بعض الفرنكات في

— البقية على الصفحة ٨ —

اخوكم : فهد العرابي الحارثي
باريس